# الحسين وصنع السياسة الخارجية

## حازم نسيبه

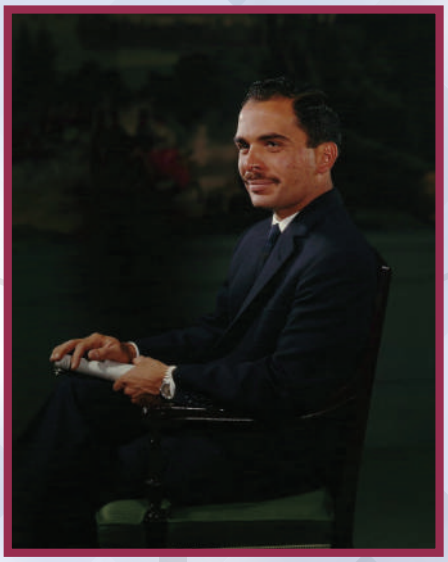

أيار/ مايو 2018

كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية

مركز الدراسات الاستراتيجية
الجامعة الأردنية

سلسلة محاضرات «كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية»(2)

# «الحسين وصنع السياسة الخارجية»

حازم نسيبة

أيار/مايو 2018

مركز الدراسات الاستراتيجية

الجامعة الأردنية

## تمهيد

كرسي الملك الحسين بن طلال للدراسات الدولية هو برنامج أكاديمي بحثي وتوثيقي متكامل، يتمثّل الهدف في إنشائه بمركز الدراسات الاستراتيجية – الجامعة الأردنية، في أن يكون مشروعاً وطنياً يُعنى بدراسة وتوثيق مسيرة الملك الباني، والإضاءة على فكره السياسي والإنساني، وفلسفته بالحكم، ومهاراته القيادية التي تحوّلت إلى مدرسة ونهج للدولة الأردنية الذي يعززه ويبني عليه الملك عبدالله الثاني ابن الحسين.

ولتحقيق أهداف كرسي الملك الحسين بن طلال للدراسات الأردنية والدولية، يقوم المركز بأنشطة متعددة، منها البحوث والدراسات والندوات والمحاضرات، إضافة إلى الأنشطة التوثيقية المختلفة، وذلك للبحث- بشكل علمي- في جوانب مهمة ومفصلية من حياه الحسين العظيم. وتأتي هذه المحاضرة ضمن سلسلة محاضرات كرسي الملك الحسين التي بدأها المركز، وتستمر بشكل، شبه دوري، يقوم بإعطائها كل من السياسيين والمفكرين الأردنيين الذين عملوا مع المرحوم الملك عن قُرب؛ بهدف تسليط الضوء على جانب مهم من فكر وحياة الحسين، وذلك لاستلهام الدروس والعبر من سيرته العامرة بالخلق الإنساني الرفيع، وبالروح المتقدة بمعاني المحبة والتسامح والعزم والإرادة، وبالقيادة الفذة، والإفادة منها.

يقدم الدكتور حازم نسيبه السياسي والأكاديمي المخضرم، في هذه المحاضرة تحليله ورؤيته حول نهج السياسة الخارجية في عهد الحسين بحكم تجربته كوزير للخارجية لأكثر من مرة وسفيراً في عدة دول ومندوب الأردن الدائم على الرؤية والمبادئ التي كان بها الراحل الكبير فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

في النهاية؛ أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي الدكتور حازم نسيبه على هذه المحاضرة التي تصلح لأن تكون مرجعاً للطلبة والدارسين في العلوم السياسية في فكر الحسين في السياسة الخارجية والتي مكنته من نسج أفضل العلاقات مع العالم الخارجي. وادارة العلاقات الأردنية مع العالم.

الأستاذ الدكتور موسى شتيوي

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية

## الكلمة الترحيبية

## الأستاذ الدكتور موسى شتيوي/ مدير مركز الدراسات الاستراتيجية

## الجامعة الأردنية

معالي ضيفنا العزيز الدكتور حازم نسيبه الأكرم

الأستاذ الدكتور عزمي محافظة رئيس الجامعة الأردنية الأكرم

أصحاب الدولة والمعالي والعطوفة والسعادة الأكارم

السيدات والسادة الحضور الأعزاء

أسعد الله أوقاتكم بكل خير ومحبة، وأنتم تشاركوننا اليوم هذه المحاضرة المميزة بعنوان «الحسين وصنع السياسة الخارجية» ضمن سلسلة محاضرات شهرية، نسلط فيها الضوء على جانب مهم من مسيرة وفكر الراحل الحسين طيب الله ثراه. وقد خصصنا هذه المحاضرة للحديث عن نهج السياسة الخارجية للدولة الأردنية في مدرسة الحسين التي بناها رحمه الله عبر عقود من التضحية والنضال، وسنين تخللتها عواصف هزت المنطقة والعالم، استطاع جلالته بحكمته وقيادته الوصول بالأردن لبر الأمان، وتجنيب أهله الشرور والويلات.

نستضيف اليوم في «كرسي الملك الحسين بن طلال» بمركز الدراسات الاستراتيجية أحد القامات والأعلام الوطنيين الذين كان لهم الحظوة في القرب من الحسين: تجربة وفكراً وممارسة لاستحضار إرث الحسين الخالد، وإبراز تجربته في الحكم وإدارة البلاد، وتوثيق تاريخه الشفوي، لتبقى ذكراه حية في قلوبنا وذاكرتنا، وذاكرة الأجيال من بعدنا، ولنؤرخ-بمنهجية علمية- لمرحلة مهمة من مسيرة الأردن، ونهضته الحضارية، حيث تعرض الاردن لكثير من الظلم حتى من قبل بعض الاشقاء والاعداء والباحثين نتيجة غياب الدراسات التحليلية المعمقة المستندة الى الواقع والحقائق التاريخية.

نستضيف اليوم معالي الدكتور حازم نسيبه الحاصل في العام 1954 على درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة برنستن في الولايات المتحدة الأميركية.

وامتد عمله العام في مواقع مختلفة من 1954 – 1986، وعمل وزيراً للخارجية مرتين: الأولى العام 1962 -1963، والثانية في العام -1965 1966، وتخللهما شغله لمنصب وزير البلاط الهاشمي في الفترة من 1963-1964.

كما عمل سفيراً في عدد من الدول العربية والأجنبية في مصر، وتركيا، وإيطاليا.

وكان مندوب الأردن الدائم في الأمم المتحدة للأعوام 1976-1982.

وأستاذا غير متفرغ للشؤون الدولية بالجامعة الأردنية-الجامعة الأم- للأعوام من 1966 – 1969، وممثلا عن الأردن والمجموعة العربية والآسيوية في مجلس الأمن الدولي للعام 1981 – 1982، وعضواً في مجلس الأعيان لمرات عدة للأعوام 1983- 1989، ووزير دولة لشؤون رئاسة الوزراء للعامين 1985 – 1986، ومحاضراً غير متفرغ في الشؤون العامة والدولية في كلية الحرب الملكية للأعوام من 1994 -1998.

ونال معاليه العديد من الأوسمة، منها وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى، ووسام الملك للتميز من الدرجة الأولى في العام 2016 لجهوده في السلك الدبلوماسي، وأوسمة أخرى.

ولا يفوتني أن أشير الى أن لمعاليه مؤلفات قيمه، أذكر منها على سبيل المثال: فلسفة القومية العربية الصادر في العام 1956، وفلسطين والأمم المتحدة الصادر في العام 1981 ونحن والعالم الصادر في العام 1983، وغيرها من الكتب والترجمات.

الأخوة والأخوات، الحضور الأعزاء

عندما نتحدث عن معالي السيد حازم نسيبه، أطال الله في عمره، فإننا نتحدث عن علم مهم من أعلام السياسة الخارجية الأردنية، ورافد من روافدها التي حملت على كاهلها إسماع صوت الأردن على جميع المنابر الدولية، ولا سيما المنبر الأممي، مدافعاً عن الأردن وقضاياه، والقضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

أهلا بمعالي الدكتور حازم نسيبه متحدثاً اليوم في هذا الجمع الخير، وأهلا بكم جميعاً في هذه المحاضرة التي سنستمع فيها عن الحسين وصنع السياسة الخارجية.

فليتفضل معاليه.....

# «الحسين وصنع السياسة الخارجية»

## حازم نسيبة

يسعدني ويشرفني أن أشارك كرسي الملك الحسين للدراسات الأردنية والدولية، جهوده القيمة المشكورة في ابتعاث وتسجيل الإنجازات الوفيرة التي تحققت في عهد الملك الحسين الباني، على امتداد نصف قرن من الحكم الرشيد، والعطاء الوفير والقيادة الجامعة الحكيمة التي قادت الوطن إلى ذُرى التقدم والنماء.

الأحكام التاريخية، مهما بلغت موضوعيتها ونزاهة قصدها فإنها لا يمكن أن تتجرد كلياً من منطلقات مجموعة من الوقائع والنوازع والمعتقدات والتجارب والعلاقات التي تتأثر بمن يسجل لها، ويستنبط الأحكام والنتائج من وقائعها. وما دامت الوقائع واحدة في جميع الحالات، فإن تقييمها لا بد من أن يأخذ مناحي شتّى، عند من يتناولها بالبحث والتأريخ، ولكل مجتهد رأيه واجتهاده الذي يستحق الاحترام ما دام مجرداً من الهوى. تعددية فكرية تثري البحث وتعطي للتاريخ أوسع قدر ممكن من الدقة والصدقية.

بادئ ذي بدء، ثمة شعور عميق لدي، ترك تأثيراً في تفكيري ومشاعري وضميري، خلال مراجعتي العقلية، وتقييمي لتلك الحقبة الخصبة من تاريخ الأردن المعاصر، والتي تغطي في معظمها عهد الحسين الباني.

إنه شعور بالغضاضة فيما كان واضحاً لي من افتراءات متعمدة على سجل الأردن، بغير تمييز بين الحسنات والسيئات – فيما كتب عنه من أبحاث، وما نشر وأذيع من رسائل وإعلام وكتب، سواء في أقطار وطننا العربي أو في خارجه، بعيداً عن الموضوعية أو النزاهة الفكرية التي ينبغي لكل باحث يحترم نفسه التحلي بها.

والأردن، شأنه شأن غيره من سائر بلدان العالم، له أخطاء كثيرة وإنجازات كبيرة، تتجلى في النمو الهائل الذي تم خلال قرن من الزمان، بدءاً من إنشاء الدولة الأردنية على يد الملك المؤسس عبد الله الأول، والتي انتزعها انتزاعا من براثن وعد بلفور والصهيونية العالمية الأخطبوطية التي كانت طامعة في أراضيه، وإرساء قواعد الدولة الليبرالية الحديثة؛ وامتداداً بعهد الملك طلال القصير زمنياً الذي وضع في عهده الدستور الأردني المنفتح العتيد.

ما هو الإرث الذي ورثه الحسين عندما تولى الحكم؟

نُودي بالحسين ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية، في الحادي عشر من آب/أغسطس 1952، ولما يبلغ السنّ التي تخوله ممارسة سلطاته الدستورية. وعندما تسلم سلطاته الدستورية في الثاني من أيار/مايو 1953، بعد بلوغه الثامنة عشرة، كان الأردن قد اجتاز قبل عام فقط، أزمة دستورية أليمة وقاسية في آن معاً. اجتازها بنجاح وانضباط، واحترام واثق ومشرّف للأصول والقواعد الدستورية أكسبته تقدير العالم.

وقد ضاعف من أهمية هذا الإنجاز وذيوعه، أنه تزامن مع قيام انقلابات وثورات عسكرية متلاحقة بدءاً من حسني الزعيم وانتهاءً بسلسلة مدوية من الانقلابات كانت تتسم بدبابة ومذياع، يعلن وقوعها وانتهاءها. الانقلابات العسكرية في سورية، والاضطرابات الجماهيرية في العراق وبيروت وطهران، وغيرها من عواصم المنطقة.

بيد أن أهم تلك الأحداث وأبعدها تأثيراً في تاريخ المنطقة، بل ومصيرها قيام «الضباط الأحرار» في مصر، بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر، بثورة شاملة في 23 تموز/يوليو 1952، أطاحت بنظام الحكم الملكي القائم في مصر.

ومع أن هذه الثورة كانت بيضاء غير دموية، إلا أن منطلقاتها وضعت النظام العربي كله، بما فيه النظم الدستورية البرلمانية التي كانت قائمة ومزدهرة وفعّالة في المشرق العربي، أمام تجربة خطرة في تاريخها الغضّ، وفي مرحلة لم تكن فيها القيم الديموقراطية الدستورية، قد ضربت جذورها، أو استقرت مفاهيمها وقيمها وسننها وممارساتها، في عهد ما بعد الاستقلال.

لم يكن هنالك شك في أسباب تلك الانقلابات والثورات، فقد كانت ارتدادات زلزالية عميقة، أفرزتها هزائم الدول العربية السبع العام 1948 (لم تكن سائر الدول العربية قد نالت استقلالها بعد)، إذ اعتبرت تجسيداً لفساد أو وهن جذري في بنية المجتمعات، ونظم الحكم القائمة. وقد وضعت دول المشرق العربي المستقلة على حافة بركان

متأجج وصراع على السلطة، وإعادة تقييم للنظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكثير من القيم والمفاهيم، بحيث أوصلتها في نهاية الأمر إلى مسار جديد قوامه حكم الفرد، أو الفئة العسكرية المهيمنة، أو الحزب الحاكم المنفرد. وهكذا وئدت الديمقراطية الحقة في المهد.

كانت الشعوب العربية، وقد أذهلها ما ألمَّ بها من نكسات وإحباطات، مهيأة نفسياً لتسليم مقاليد أمورها إلى منقذ قوي منتظر، أو إلى حاكم مستبد عادل، مدرسة جمال الدين الأفغاني، أو لحزب ثوري قادر على إعادة صوغ حياتها، وإخراجها من وهدتها، والعمل على تحقيق طموحاتها والثأر لكراماتها المهدورة، والخلاص من الفقر والجهل والتخلف (غالبية شعوبنا كانت أميّة) والقطرية الانعزالية الواهنة، حتى تصبح قادرة على التعامل مع الأوضاع المستجدة التي خلفتها النكبة. وانتشرت في المنطقة وأجهزتها الإعلامية؛ اصطلاحات وتعابير وتصنيفات سياسية جديدة لم تكن متداولة من قبل، مثل: الرجعية والتقدمية والثورية، والخيانة، والوطنية. كانت هذه النعوت تستعمل جزافاً على الساحة العربية، بدلاً من الحوار الطبيعي في نطاق المجتمعات العربية، بين الأجنحة المحافظة، أو الوسطية الداعية إلى المنظور التدريجي المعتدل –الهادف والإيجابي- وقد كان هذا نهج الأردن. وبين الأنظمة والأجنحة والحركات الشمولية نحو التغيير الجذري الشامل، وإن أدى ذلك إلى نشوء الصراعات الطبقية والحرب الدموية. كما دخلت العالم العربي روح العنف والقسوة الفكرية والعملية التي صبغت عدداً من التيارات الداعية إلى التجديد.

وغني عن القول إن الأردن في –عهد الحسين- وهو في قلب هذا المشرق العربي قومياً وتراثياً وجغرافياً، لم يكن بمنأى أو منجى عن تلك الأعاصير اللاهبة، المتجمعة في سماء المنطقة، سرعان ما وجد نفسه يتعامل معها على الأصعدة الداخلية والعربية والدولية، بزخم تتصاعد وتيرته أحياناً وتخبو أحياناً أخرى.

ومع أن الأردن تمتع باستقرار وأمن وحرية واسعة نسبياً، وحياة نيابية نشطة فعالة، مكنته من تطوير حياته تطويراً متسارعاً وفي مدة زمنية قياسية في حياة الشعوب، بحيث أصبح قدوة ترنو إليها أبصار من يبتغون الخير لهذه الأمة، إلا أن هذا الإنجاز لم يكن سهل المنال، ولا خلواً من العنف والاضطرابات والاحتراب، وبأساليب كادت تعصف بتجربته الديموقراطية الفتية الرائدة، والهادفة إلى توطيد دعائم مجتمع قائم على الحرية السياسية والاقتصادية المسؤولة أمام القانون.

كان مجلس الأمة، بطبيعة الحال، قد أقرَّ دستوراً جديداً للبلاد، في عهد الملك طلال بن عبد الله العام 1952، ويعتبر من أحدث الدساتير في العالم، وأكثرها ديموقراطية وانفتاحا. كما تضمنت مضامين اقتصادية واجتماعية في قلبها التعليم الإلزامي، وحق كل مواطن في العمل والتعليم والرفاه الاجتماعي. كذلك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وأخرى لحماية العمال وتأمين حقوقهم وشروط عملهم، وفق أحدث النظم المستوحاة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ودساتير العالم المتطورة. وفي أواخر عقد السبعينيات من القرن الماضي، تقدم الأردن

بمشروع إقامة نظام إنساني دولي جديد أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع وتعمل وفقه في يومنا هذا.

الأرض والسكان

السادة الأفاضل:

عندما تولى الحسين مقاليد الأمور، كان عدد سكان الأردن قد ارتفع دفعة واحدة من نصف مليون نسمة إلى مليون ونصف المليون، وقد تغنت دار الإذاعة في رام الله بهذا النمو في أغنية كلماتها (نحن مليون ونصف ليس هذا بالقليل). وقد كانت محل التندر قياساً ببلدان أكثر كثافة كالهند والصين. كان ثلث السكان من اللاجئين الفلسطينيين الذين سلبهم الاغتصاب الصهيوني الوطن والديار، وكل مقومات الحياة والعمل والعيش الكريم. يضاف إلى ذلك، بطبيعة الحال، الأعباء الكبيرة التي ترتبت على نكبة فلسطين، والمتطلبات الدفاعية المتنامية التي أعقبت قيام إسرائيل.

كان واضحاً منذ بداية العهد، أن السبيل الوحيد لمواجهة المسؤوليات الجسام التي نشأت عن قيام إسرائيل، هو إما تقديم مساعدات عربية ودولية واسعة النطاق إلى الأردن، أو تحقيق شكل من أشكال الاتحاد مع دولة عربية، أو دول عربية شقيقة، أو على الأقل، تكفُّل الدول العربية المقتدرة بتحمل جزء كبير من التزامات الأردن الدفاعية وتبعاتها. ولكن شيئاً من هذا لم يتم، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الأردن بقيادة الحسين لتحقيق ذلك، سواء عن طريق العمل الوحدوي، أو أنظمة

الدفاع العربي المشترك التي وقعت العام 1955، تزامناً مع قيام الحلف الأطلسي في أوروبا. وظل الأردن حتى العامين 1965-1964 حين قامت مؤسسة القمة العربية، يعتمد على نفسه وعلى المساعدات المحدودة التي كانت تقدمها بعض الدول الغربية، وبالأخص الولايات المتحدة بعد إلغاء المساعدة البريطانية في أعقاب عزل الجنرال جلوب، وقدرّت المساعدات الأميركية في حدود (40) مليون دولار. هذا علماً بأن إسرائيل كانت قد تلقت خمسة وعشرين مليار دولار من ألمانيا وحدها كما سجلها في تلك الفترة باحث يهودي في كتابه (What Price Israel).

إنني على يقين بأن الأجيال الصاعدة سوف تصاب بالدهشة عندما أبين أن مجموع الدخل القومي الأردني العام 1952، لم يتجاوز واحداً وخمسين مليون دينار، ارتفع في نهاية المدة في العامين 1967-1966 إلى مائة وخمسة وسبعين مليوناً، وهو ما تحقق نتيجة برنامج السنوات الخمس 1967-1962، والذي كان لي شرف الإشراف على إعداده.

الدخل القومي الآن يتجاوز الثلاثين مليار دينار! وارتفع عدد السكان إلى عشرة ملايين نسمة؛ أي أنه تضاعف عشرات المرات في عهد الحسين وسنوات الملك عبد الله الثاني حفظه الله.

وقد تضاعفت عشرات المرات أعداد المدارس والمستشفيات وعدد الأطباء من 180 طبيباً العام 1952 إلى 550 طبيباً العام 1966، والعدد اليوم ثلاثون ألف طبيب. كان عدد المدارس العام 1952 (449) مدرسة

ارتفع عام 1966 إلى (1929) مدرسة، والمدارس اليوم تملأ السهل والوعر، وينتسب إليها حوالي مليوني طالب وطالبة. وقد نفذ الأردن التزامه بمحو الأمية بحيث لم تعد تتجاوز خمسة بالمائة، مع أنها تبلغ 30-40% في دول عربية كبيرة.

ولم يكن يتوافر تعليم عال داخل الأردن العام 1952 إلى أن جاء العام 1962 حيث صدرت الإرادة الملكية بإنشاء الجامعة الأردنية، وإن كانت في مطلع نشأتها محدودة الأساتذة والطلبة، وبعض الأساتذة لم يكن متفرغاً. تبع ذلك إنشاء خمس وعشرين جامعة بين عامة وخاصة، وعشرات المعاهد المتوسطة والفنية.

كانت موازنة الحكومة العام 1952، ثلاثة عشر مليوناً ونيف، وأذكر خلوصي الخيري وزير الاقتصاد الوطني آنذاك وهو يتحدث بحماسة عن أن الموازنة سوف تصبح خمسة عشر مليوناً بحلول 1957! موازنة يومنا هذا تتجاوز التسعة مليارات دينار، مع أخذ قيمة العملات بالاعتبار.

ومجمل القول إن الأردن بضفتيه، وتحت قيادة الملك الحسين الباني، حقق نهضة كبرى شملت قطاعات الشعب كافة، وعلى مختلف مستويات التنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي، حتى إن نسبة التعليم العالي في الداخل والخارج، كانت من أعلى نسب التعليم العالي في العالم. لقد شهدت حقبة الحسين ثورة تعليمية كبرى، مكّنت الإنسان الأردني والفلسطيني في الضفتين، بما في ذلك اللاجئون الفلسطينيون، وبمساعدة "الأونروا" الدولية، من إعداد أنفسهم

لمجابهة تحديات الحياة وقسوتها وشظفها، بحيث أصبح الشعار الذي أطلقه الحسين "الإنسان هو أغلى ما نملك" حقيقة تجسدت على أرض الواقع، وليس مجرد شعار لفظي شأنه شأن العديد من الشعارات التي غصَّت بها الساحة العربية على امتداد هذه الحقبة، والتي كثيراً ما ضللت الجماهير وأوردتها المهالك.

السادة:

الاطلاع على البيانات الوزارية بدءاً من حكومة توفيق أبو الهدى، أو سمير الرفاعي أو فوزي الملقي أو سعيد المفتي أو إبراهيم هاشم جميعها تئن من الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة في عهودهم، ومثل واحد فقط على ذلك، البيان الوزاري للرئيس فوزي الملقي والذي جاء فيه:

"ما لا شك فيه أن الوضع الاقتصادي، آخذ بالتدهور سنة بعد أخرى، ولهذا التدهور مخاطر شتى، قد يكون من أبرزها البطالة المتفشية بين السكان، وهبوط مستوى المعيشة بشكل مخيف، وشلل حركة العمال، ونقص ملحوظ في كمية العملة المتداولة، وتقهقر إلى الوراء في مقادير الإنتاج في الحقلين الزراعي والصناعي مما أدى إلى اتساع الهوة في الميزان التجاري". ويختم بيانه بالقول: "فالمشكلة الاقتصادية في رأينا هي في الحقيقة مشكلة سياسية، لا يمكن حلها حلاً مستقراً إلا بحل قضية فلسطين وبعودة اللاجئين إلى ديارهم وأملاكهم".

لا حاجة للإطالة في وصف الأوضاع الاقتصادية المتردية القائمة التي كانت تسود الأردن بشكل عام، وسكان الضفة الغربية واللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص، وإنما العبرة التي توخيت استخلاصها هي: كيف أن بلداً كالأردن، بموارد طبيعية شحيحة، وفي غياب مساعدات عربية أو أجنبية تستأهل الذكر، استطاع أن يحقق من نقطة الصفر، معجزة البقاء والصمود على مدى عقود، وأن يبني مؤسساته وبنيته التحتية واقتصاده وطرق تجارته المستجدة، بعد خسارة موانئ البحر المتوسط، وأن يحقق ثورة تعليمية بعيدة المدى، لم يقتصر عطاؤها ومردودها الخيّر على الأردن وحده، وإنما تعداه إلى الأقطار العربية الشقيقة التي استقدمت إليها أبناء الأردن وفلسطين، مزودين بالعلم والمعرفة والخبرات، ليقدموا الجهد والعرق والعطاء لتلك المناطق من وطنهم العربي الكبير. وفي الوقت ذاته استطاعت هذه القوة البشرية المؤهلة التي تُعرف بالمغتربين، أن تبني نفسها وأن تصبح مصدراً أساسياً يرفد الأهل والوطن بالمساعدات والرساميل والاستثمارات والخير والعطاء، وهو ما ضنّ به العالم الذي تسبب في نكبة غالبيتهم.

وحتى أضعكم في صورة الأوضاع في تلك السنوات العجاف، أذكر بأنه لم يكن للأردن منفذ على البحر، ولم تكن هنالك الطريق الصحراوي الذي كان يشرف على إقامته مجلس الإعمار، وقد كان لي شرف إدارته. بل لم يكن غور الأردن قد تطور، وأقمنا قناة الغور الشرقية بدلاً من سد المقارن الذي وضعته الحكومة الأميركية (مشروع جونسون)، والذي كان سيرفد الأردن بـ400 مليون متر منذ خمسينيات القرن الماضي. فشلت

الدول العربية في القبول به بسبب جبن سياسي، وما كان يُدعى بأنه لتوطين اللاجئين الفلسطينيين خارج فلسطين.

تم إنشاء مؤسسات أردنية عديدة، ومن بينها مؤسسة الإقراض الزراعي بدلاً من مجلس إعمار متواضع أقيم في مطلع الخمسينيات بمساهمة بريطانية. كذلك بنك صناعي، وجهد مكثف جاء لاستغلال ثروات الأردن الطبيعية كالفوسفات والبوتاس، وغيرهما من مرتكزات الدولة وخدماتها. كان الشهيد وصفي التل يتطلع إلى توسيع طريق عمان السلط إلى أربعة مسارب بدلاً من مسربين، ولم تكن موازنة الدولة تسعف في تحقيق هذه الأمنية المتواضعة بادئ الأمر.

تمت إقامة شبكة متصلة من الطرق تبلغ سبعة آلاف كيلو متر، وتربط مختلف مدن وأرياف الأردن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، بما في ذلك طريق رئيسية بين عمان والقدس قبل ضياعها بسنتين. كذلك تم تغطية المملكة بشبكة كاملة من الكهرباء تغطي كافة أرجاء المملكة. كما نمت مدينة عمان بالذات من الدوار الأول إلى الدوار الثامن، مع توسعات ضخمة في جميع الاتجاهات، وها هي اليوم تضم أربعة ملايين ساكن، بين مواطن ولاجئ من بداية حائرة في الخمسينيات عندما لم تكن تتعدى الخمسين ألفاً. لقد كانت حاضنة كريمة سمحاء جاذبة ومستقرة، ولم تكن طاردة للسكنى كما جرى في مدن أخرى بسبب غياب الحريات الأساسية والحكم الرشيد.

وقد عمل الأردن حثيثاً على تطوير ميناء العقبة الصغير، ليصبح قادراً على استيعاب أحجام الاستيراد والتصدير المتعاظمة، لبلد يخوض عملية تنمية ونمو كبيرة. وتحولت تجارة الأردن من بلدان البحر المتوسط وأوروبا، إلى بلدان الشرق الأوسط والأقصى. وقد اعتبر افتتاح مشروع ميناء العقبة الموسع العام 1959، انعطافاً مهماً في تطور الأردن، أعقبه إتمام الطريق الصحراوي المؤدي إلى الميناء في العام التالي العام 1960. وهكذا مضى عقد كامل لاستيعاب تحول طرق التجارة الخارجية الدولية نتيجة النكبة، وتم تجاوزها بمشقة كبيرة، علماً بأن ميناء حيفا السليب كان في مرمى البصر.

أيها السادة؛

إن النهضة المباركة والإنجازات الكبيرة التي تم تحقيقها، لم تكن لتجد طريقها إلى النور، لولا أن قيّض الله لهذا الوطن، وكما أثبتت السنون والعقود التي انقضت منذ تلك البداية المتواضعة الحائرة، قائداً عظيماً وإنساناً إنساناً، ورجلاً يمثل أنبل ما في قيم أمتنا العربية من مروءات، وأصلب ما في كينونتها من رجولة وشهامة واعتزاز.

لقد أمن الحسين منذ نعومة أظافره، حيث رُبي تربية عربية إسلامية أصيلة، وفي عنفوان شبابه عندما كان طالباً يافعاً في الكلية العلمية الإسلامية، وكليات فكتوريا وهارو وأكاديمية ساندهيرست العسكرية الشهيرة، بتراث الأمة العظيم، ورسالتها الحضارية المجيدة، وحقها الطبيعي المقدس في حياة حرة كريمة، تحياها على قدم المساواة مع سائر

أمم الأرض. إنه إيمان راسخ كان يعمر قلبه ووجدانه، ولا مكان فيه للتغاضي عن هيمنة أجنبية، من أية جهة كانت، أو امتهان لحق أو كرامة أو أوطان. فكرامته الشخصية من كرامة الشعب والأمة وكلاهما متمم للآخر.

كنت جالساً في معية الحسين في فندق الدورشستر في لندن، عندما جاء من يبلغنا بأن ممثل المملكة إليزابيث يرجو مقابلة الملك لينقل تحيات الملكة. كان الملك قد وصل إلى مطار غير مطار هيثرو. وعلى ما يبدو لم يقم المطار بواجب استقباله بما يليق. وقد أمرني الملك بأن أقابل ممثل الملكة رافضاً مقابلته بنفسه. وعندما تآمر العالم على العراق العام 1991، بما في ذلك الدول العربية، كان الحسين الوحيد في اجتماعات القمة الذي حاول حماية العراق من الغزو الأجنبي. وقد فرض على الأردن حصار بحري صارم عقاباً على هذا الموقف المشرف المنفرد. وفي العام 1963 وبسرية تامة، أمرني الملك بالذهاب إلى موسكو وإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي، علماً بأن تلك العلاقات كانت ستسبب بتوتر كبير مع الولايات المتحدة التي كانت تقدم المساعدات الاقتصادية والمالية للأردن. وقد سحبت الحكومة الأميركية سفيرها آنذاك من الأردن بسبب فشله في إبلاغ واشنطن مسبقاً بهذا القرار. وقد جاء السفير إلى الديوان الملكي، وقابلني وكان في حالة من الغضب والاحتجاج والعتاب.

وفي الوقت ذاته، وقبل ثلاث سنوات من ذلك التاريخ شنّ الحسين حملة شعواء على الاتحاد السوفييتي في الجمعية العامة للأمم المتحدة بسبب

شعوره آنذاك بأن نشاطات فئات تابعة له أو متأثرة بسياساته ربما كانت لها علاقة باستشهاد هزاع المجالي رئيس الوزراء. وحاول الملك الحسن ملك المغرب وغيره من رؤساء الدول العربية ثنيه عن إلقاء تلك الكلمة أو تخفيفها، ولكنه أصر عليها، ولم يترك لأحد أي مجال للتأثير عليه، فقد كان متأثراً تأثراً عميقاً باغتيال رئيس وزرائه هزاع المجالي.

وأذكر بهذه المناسبة أنني كنت في اجتماع مع الشهيد هزاع في الرئاسة قبل خمس دقائق فقط من وقوع الانفجار، ولم ينقذني سوى اعتذاري عن عدم شرب فنجان قهوة بعد انتهاء الاجتماع.

كان الحسين يتمتع بشخصية فريدة فذّة، أكسبته محبة جميع من عرفوه أو عملوا في خدمته عن كثب، وأسبغت عليه الاحترام والصداقة والثقة من أساطين قادة العالم، على مختلف مشاربهم وعقائدهم في مختلف القارات والحضارات، وعلى امتداد ستة عقود. ما من زعيم عالمي مرموق، حياً أو في ذمة التاريخ، لم تربطه بالحسين أواصر صداقة واحترام متبادلين، من آيزنهور وكندي ودي جول، وتيتو والباندت نهرو في الخمسينيات والستينيات، إلى ريغان وبوش وغورباتشوف وبي بينج وميتيران وتاتشر وكارتر وكلينتون في عقد الثمانينيات، ممن تركوا بصماتهم على العالم. وكانت تربطه كذلك صداقات حميمة مع قادة العالم العربي والإسلامي، والإفريقي والأوروبي واللاتيني والصيني، ومع قادة اليابان والهند ودول عدم الانحياز المتعاقبين، وقد توافد قادة العالم للاشتراك في تشييع جنازته وبينهم أربعة من رؤساء أميركا الأحياء.

ولاريب أن من أهم أسباب احترام قادة العالم له، شخصيته الأخاذة، وصدقيته وصراحته المعهودة، ونقاء سريرته، وتواضعه الطبيعي الجم دون تكليف. لم أره يوماً يُقرِّع إنساناً أو يعنفه، أو ينال من كرامته الإنسانية، مهما كان الموقف عصيباً أو يستدعي ذلك.

ولكن هذه السكينة في الخُلُق، وفي التعامل مع الغير، تُغلف في ثناياها مضاء عزم شديداً، وقوة شكيمة، واستقلالاً في الرأي دون تصلب (كان يأخذ بالنصيحة إن رآها مناسبة)، وإرادة صلبة، وتحدٍ غير هياب في الملمات (كما تبين لدى تصديه شخصياً لفتنة الزرقاء العسكرية بعد عام من إعفاء الجنرال جلوب ومساعديه الإنجليز من قيادة الجيش العربي الأردني) وكانت تلك القيادة البريطانية تملك معظم خيوط السلطة في الأردن، بسبب سيطرتها على الجيش والمخابرات العامة والأمن العام.

وكان الحسين يتمتع بضبط غير عادي للنفس، وحلم وتسامح عند المقدرة، ومحبة للناس، وذكاء متوقد، ونفاذ إلى الطبيعة البشرية، بحيث تجعله يغض الطرف عن هفوات الناس ومثالبهم وأخطائهم.

كنت في معية الحسين إبان القمة العربية الأولى العام 1964، وجاء من يخبرني بأن عدداً من الضباط الأردنيين المرموقين الذين لجأوا إلى القاهرة بسبب اشتراكهم بأعمال مناوئة للنظام، يودون العودة إلى الوطن، وقد كانوا في رعاية المخابرات المصرية، وفي وضع لا يليق بمكانتهم. وطلبوا مني نقل رغبتهم إلى الملك وطلب العفو عنهم. قلت للملك: سيدنا هؤلاء ضباط مخلصون وإن أخطأوا بتصرفاتهم ووضعهم الحالي لا يليق

بهم يطلبون العفو. فأجابني، ذكرني بالموضوع بمجرد العودة إلى عمان. وهكذا كان وعادوا إلى الوطن وأسندت لهم مناصب مهمة في الدولة. وكذلك الحال مع محمد داود الذي تولى رئاسة الحكومة العسكرية العام 1970. ولما جاء إلى القاهرة استقال من منصبه احتجاجاً على وضعه. كان جمال عبد الناصر في وداع الحسين الذي كان يحضر في القاهرة مؤتمر القمة التي اجتمعت لبحث الأوضاع الخطيرة في الأردن، وانقضاض الجيش على المقاومة. قال جمال عبد الناصر للملك وكنت وقتها سفيراً للأردن وأقف إلى جانب الحسين، قال له: يا جلالة الأخ حتى رؤساء الوزارات لهم الحق في الاستقالة. وقد أجابه الملك بأنه قد أوعز لي بإبلاغ محمد داوود بأن من حقه العودة للوطن وجميع حقوقه التقاعدية مؤمنة، وأنه يمكن أن يتولى منصباً مناسباً إذا شاء. بعد تلك المحادثة بثلاث ساعات، أذاعت الأنباء وفاة جمال عبد الناصر، التي نزلت كالصاعقة على الجميع. والحسين في كل قراراته وسياساته كان يُعبِّر عن إيمانه وإيمان شعبه وأمته بوحدة المصير العربي، مهما كان الثمن فادحاً والتضحيات جسيمة. تجلى ذلك عملاً لا قولاً عندما أراد دخول الحرب تضامناً مع مصر عندما تعرضت للعدوان الثلاثي العام 1956 (صياح الروسان)، لولا مناشدة قيادة مصر بالعدول عن ذلك، بعد أن تكشفت الأبعاد الدولية للعدوان، كما تجلى عندما دخل الأردن حرب العام 1967 الكارثية، بعد أن تعرضت مصر مرة أخرى للعدوان الإسرائيلي الغادر صبيحة الخامس من حزيران، وذلك ليقينه بوحدة المصير العربي المستهدف، وهو الذي كان ينادي دوماً بأن خطوط الهدنة هي خط واحد، وأن العدوان على أي منها هو عدوان عليها جميعاً.

السادة:

العنف في خدمة السياسة، ظاهرة جديدة أخرى، أصبحت تلعب دوراً مدمراً في العلاقات السياسية العربية، ألا وهي ظاهرة اللجوء إلى العنف والتخريب لتحقيق مآرب سياسية. وحسبنا أن نستذكر المؤامرات العديدة ومحاولات الاغتيال التي تعرض لها الملك الحسين منذ عام 1952، وقد بلغت عشرات المحاولات، يضاف إلى ذلك استشهاد رؤساء وزارات وأعضاء حكومة وشخصيات بارزة على الساحة الأردنية.

لقد سرد الحسين في الكتاب الذي صدر بالإنجليزية بعنوان: "مهنتي كملك" (Uneasy Lies the Head) المحاولات الانقلابية ومحاولات الاغتيال التي جرت في الأعوام 1952-1967، والتي تبدو أقرب في إثارتها إلى الروايات السينمائية، منها إلى قراءة تاريخ ملك أو رئيس دولة أو نظام في عصرنا الحديث. إنها تعليق صارخ وأليم على سلوكيات العمل السياسي العربي في تلك الحقبة، وقد استنفدت طاقات العرب وأخلاقياتهم وقيمهم المعنوية أيما استهلاك. وبالإضافة إلى المحاولات الانقلابية ومحاولات الاغتيال البشعة، كانت هنالك مؤامرة ذات طابع مميز وخطر، فكانت في الهجوم الجوي الذي قامت به مقاتلات سورية العام 1958، على طائرة الحسين المدنية الصغيرة في الأجواء السورية، والتي استهدفت إسقاط الطائرة الملكية وقتل من فيها. كان ذلك بعد ثلاثة أشهر من استشهاد فيصل ملك العراق في الانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام الحكم الملكي في العراق.

لقد كانت حقاً مؤامرة اغتيال مثيرة وغير مألوفة؛ لأنها كانت عدوانا حربياً مسلحاً ضد طائرة مدنية. كانت قد حصلت على إذن بالعبور البريء عبر أجواء سورية، وفي طريقها إلى أوروبا. ولولا البراعة الفائقة في فن الطيران ورباطة جأش الملك الحسين ومرافقيه، لما نجت الطائرة من مصير محتوم.

محاولتي الانقلاب الأفدح خطراً كانتا فتنة الزرقاء (1957)، ومؤامرة قلب نظام الحكم التي حدد لها السابع عشر من شهر تموز/يوليو العام 1958، بعد الانقلاب العسكري في العراق، والذي أدى إلى انهيار الاتحاد العربي الذي كان قد عقد بين الأردن والعراق في 14 شباط/فبراير 1958.

السادة:

أعتذر إن كنت قد أطلت عليكم، ولسوف أختم حديثي بكشف النقاب عن الحادث الجلل، عن الظروف والعوامل التي أحاطت بحرب 1967، ودخول الأردن فيها والخسارة الزلزالية التي نتجت عنها ممثلة بضياع نصف المملكة الأردنية. من المسؤول عن هذه الكارثة؟

**<u>أولاً:</u>** الولايات المتحدة توصلت إلى قناعة بأن مصر جمال عبد الناصر تعمل على ضرب المصالح الأميركية، كما أن الوحدة العربية التي كان ينادي بها وتعمل لها مصر وشقيقاتها العربيات، تشكل عاجلاً أم آجلاً خطراً داهماً على إسرائيل والولايات المتحدة، والمصادر العليمة المطلعة تؤكد أن الرئيس جونسون أعطى الضوء الأخضر لإسرائيل ولأجهزته

بالعمل للإطاحة بالنظام القائم في مصر. وبدأ العد التنازلي للحرب في ربيع 1967.

كنت والمرحوم وصفي التل في القاهرة في 13 تشرين الثاني/نوفمبر لاجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك، عندما شنت إسرائيل عدواناً دموياً على قرية السموع في قضاء الخليل، دمرت فيه جميع منازل القرية. قال لي وصفي يومها، ها قد بدأت المعركة من أجل الضفة الغربية.

**ثانياً:** اتهمت مصر وسورية ومنظمة التحرير الأردن بالتقصير والتقاعس في الدفاع عن السموع. بينما اتهم الأردن القيادة العربية الموحدة بالتقاعس عن نجدة الأردن في مجابهة العدوان، الأمر الذي أضعف صدقية تلك القيادة.

**ثالثاً:** في 21 أيار/مايو 1967، وقبل أسبوعين فقط من عدوان إسرائيل في الخامس من حزيران، قامت الأجهزة السورية بإرسال سيارة مليئة بالمتفجرات، كان مقرراً لها أن تنفجر في قلب عمان، إلا أنها انفجرت في الرمثا على الحدود. وأدى انفجارها إلى مصرع واحد وعشرين مواطناً أردنياً.

**رابعاً:** في السابع من نيسان، وقعت في الأجواء السورية معركة جوية عنيفة بين سلاح الجو السوري والإسرائيلي، فقد فيه سلاح الجو السوري مجموعة كبيرة من الطائرات المقاتلة في لحظات. سبّبت هذه النتيجة قلقاً شديداً.

**خامساً:** في الخامس عشر من أيار/مايو، وتزامنا مع الذكرى التاسعة عشرة لقيام إسرائيل، ألقى المشير عبد الحيكم عامر أمراً يومياً قال فيه إن مصر تملك أقوى قوة جوية ضاربة في الشرق الأوسط.

**سادساً:** في أواسط شهر أيار/مايو، وما زال هذا الأمر يُشكل لغزاً، نقل الاتحاد السوفييتي معلومات استخبارية إلى كل من مصر وسورية، ذكر فيها أن إسرائيل قد حشدت قواتها العسكرية في منطقة الجليل وطبرياً للهجوم على سورية. جاء رد فعل مصر فورياً وحاسماً. ففي الخامس عشر من أيار/مايو قررت الجمهورية العربية المتحدة وضع قواتها المسلحة في حالة إنذار، وأجرت مناورات ضخمة في سيناء، تبين لاحقاً أن تلك المعلومات كانت دسيسة وغير صحيحة.

**سابعاً:** في الثامن عشر من أيار/مايو طلبت مصر من السكرتير العام للأمم المتحدة يوتانت إجراء سحب جزئي لقوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة ومن بعض أجزاء سيناء، لتمكين القوات المصرية من أخذ مواقعها. وقد وافق يوتانت على هذا الطلب على أن يشمل سحب جميع القوات الدولية. ولما تمّ رحيل هذه القوات بحلول 21 أيار/مايو، أصبحت القوات المصرية ترابط في مضايق تيران المؤدية إلى ميناء إيلات (وكان اسمه الفلسطيني الأصلي أم الرشراش).

**ثامناً:** بعد إغلاق الخليج أصبح نشوب الحرب أمراً مؤكداً، مالم تفعل الدول الكبرى شيئاً لتفادي ذلك. كان موقف أميركا يراوح بين تهديد مصر بعمل عسكري مباشر لفتح المضايق، وبين تشجيع إسرائيل على

توجيه ضربة إلى العرب. كان البنتاغون قد توصل إلى قناعة بأن الحرب ستنتهي إلى هزيمة عسكرية عربية.

والآن: ما هي الإيحاءات التي تثبت تورط أميركا فيما جرى؟

قبل عشرة أيام من نشوب الحرب، زار ريتشارد مورفي، مستشار السفارة الأميركية، منزل عبد المنعم الرفاعي بحضور عاكف الفايز وحضوري. وفي الحديث وجه إلينا الكلام قائلاً: "لماذا لا تنصحوا جلالة الملك بتسوية خلافاته مع عبد الناصر والوقوف معه؟" لا بد أن أجهزة متنفذة في أميركا، لم تكن تمانع في تورط الأردن بحرب كانت متأكدة سلفاً من نتائجها.

وفي الثاني من أيار/مايو، أي قبل ثلاثة أيام من نشوب الحرب، دعاني السفير الأميركي إلى عشاء في منزله. كنا نجلس وحدنا على طاولة صغيرة نتناول الحديث. كانت الجدية والقلق يبدوان على وجهه عندما قال: "خذوا حيطتكم واحذروا أمركم، فالرئيس جونسون قادر على التصرف بمنتهى الخسة" (Our president can be mean).

هذا يؤكد أن في واشنطن أكثر من مركز قرار واحد، وأن هنالك أجهزة مهمة كانت تعمل مع إسرائيل في تآمرها العدواني، وبغض النظر عن التصريحات الرسمية التي كانت تصدر باسم الحكومة الأميركية.

ضربت إسرائيل ضربتها في اليوم الذي كانت فيه مصر تعتزم إرسال نائب رئيس الجمهورية زكريا محيي الدين إلى واشنطن لنزع فتيل الأزمة.

أصبحت حمى الحرب طاغية وشديدة الوطأة في الأردن. وفي كل بقعة من بقاع الوطن العربي الكبير. الناس مشدودون إلى أجهزة الراديو يستمعون بلهفة إلى كل كلمة ينقلها الأثير. وإن ينسى جيلنا فلن ينسى صوت أم كلثوم وهي تنشد في مستهل كل نشرة. نشيدها الحماسي العذب: "راجعين بقوة السلاح. راجعين نحرر الحمى". أصبحت الشعوب العربية وبينها. بل وفي مقدمتها. الشعب الأردني. في حالة من التعبئة النفسية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. ولم يعد ممكناً على الإطلاق النقاش حول مدى استعدادنا للحرب أو عدمه. بل يجوز لنا القول إن إيمان الشعوب العربية بالنصر كان إيماناً لا يتطرق إليه الشك. كيف لا. وقد أصبحت "فلسطين على أمتار". كما كان النشيد يردد صباح مساء. وصواريخ الظافر والقاهر والناصر؟!

من لديه الوقت والاستعداد أو صفاء الذهن ليسأل أو يتساءل ما إذا كانت تلك الصواريخ مزودة بأجهزة توجيه تمكنها من إصابة أهدافها. أو رؤوس حربية قادرة على إحداث تدمير فعّال ومؤثّر.
بل لم يخطر بالبال أننا كنا ما نزال نملك جزءاً غالياً من أرض فلسطين هي القدس وسائر الضفة الغربية. وأنها تستحق وقفة تأمُّل ووقفة حساب.

في تلك الأجواء الملتهبة، وكما أبلغني أحد المسؤولين في الديوان الملكي، رنَّ جرس الهاتف قال فيه المتكلم من القاهرة أن الرئيس جمال عبد الناصر يود التكلم مع جلالة الملك، بعد فترة طويلة من الانقطاع.

أبلغني المسؤول في الديوان أن الملك الحسين قابل الخبر بترحيب كبير واتفق مع الرئيس على زيارة القاهرة، حيث تمَّ الاتفاق على تفعيل معاهدة الدفاع العربي المشترك وإيفاد قائد مصري عبد المنعم رياض إلى عمان ليقود المعركة.
ليت ذلك الهاتف لم يصل وبقينا بعيدين عن تلك الحرب الفادحة النتائج!

استدعى الملك الحسين السفير الأميركي وقال له: إذا نشبت الحرب ولم نشترك فيها، هل تضمن الولايات المتحدة الأردن؟ فأجاب بالنفي.

وبناءً على ما تقدم وتحت ضغط شعبي جارف، قرر الحسين خوض الحرب على أساس أن إسرائيل سوف تضرب بغض النظر عن موقفنا (فخطوط التماس بينا وبين العدو عشرات الأمتار). وقد أطلعت على وثائق كانت تجمعها أستاذة كندية كانت تؤرخ لتلك الحرب وجهت لها سؤالاً مباشراً: هل كان بإمكاننا لو أردنا عدم الدخول في الحرب؟ فأجابت: كلا، فقد كان الهدف الرئيس لإسرائيل احتلال القدس خاصة، وسائر الضفة الغربية عامة، وخطوط النار بينها وبيننا أمتار.

من إذن يتحمل مسؤولية ما جرى؟ أقولها عن قناعة أن الشعب الأردني، بجميع أطيافه وسائر الشعوب العربية كانت مسؤولة عن خوض الحرب وليس الملك الحسين وحده كصاحب القرار. ربما كان وصفي التل من

الندرة التي نصحت بعدم دخول الحرب نتيجة إدراكه للنتائج التي سوف تترتب عليها. ما جرى كان سوء تقدير فادح من جهة وحتمية تاريخية ربما كانت فوق طاقتنا إن سياسياً أو عسكرياً.

إذاً، كيف نُفسر دور سفينة التجسس الأميركية ليبرتي إبان الحرب؟

في نهاية حرب 1967، شنت الطائرات الإسرائيلية النفاثة وزوارق الطوربيد، هجوماً مدمراً على سفينة التجسس إس إس ليبرتي، في المياه الدولية المقابلة لساحل سيناء وغزة في البحر المتوسط. ألقت الطائرات الإسرائيلية، وعلى مدى ست ساعات قنابل النابالم المحرقة والصواريخ والرشاشات، ما أدى إلى إعطاب السفينة ومقتل 34 من بحارتها وجرح (171).

ومع أن هذه السفينة قامت طوال الحرب بالتشويش الإلكتروني على شبكة مواصلات الجيوش العربية وخداعها وإعطائها معلومات مضللة، إلا أن ذلك كله لم يشفع لها لدى إسرائيل. استنجدت بالأسطول السادس وهي جزء منه فلم ينجدها، وأقنع الرئيس المتآمر جونسون الكونغرس الأميركي بالامتناع عن فتح تحقيق حول ملابسات ذلك الهجوم. ولو كانت أية دولة أخرى غير إسرائيل هي المعتدية على سفينة حرب أميركية وعلى مدى ساعات، لأعلنت أميركا الحرب عليها.

أيها السادة،

تركت فاجعة ضياع القدس نتوءاً عميقة في وجدان الحسين، وقد بذل جهوداً كبيرة موصولة لاستصدار قرار مجلس الأمن (242) الذي يعلن بطلان الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة، ويدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلتها نتيجة العدوان. ولكننا والعالم نقف حائرين أمام تحدي إسرائيل ومعها أميركا للأمم المتحدة وسكوتها على احتلال،

يتحول تدريجياً إلى استيطان واغتصاب بعد نصف قرن على تلك الحرب المشؤومة.

**القدس**

كانت القدس تعيش عميقاً في ضمير الحسين طوال حياته، سواء عندما كانت جزءاً عربياً غالياً من المملكة الأردنية الهاشمية والتي رعى قدسيتها وإعمارها والدفاع عنها، وبصورة حزينة أشد، بعد سقوطها الكارثي في عدوان الخامس من حزيران/يونيو 1967.

وقد احتلت قضية فلسطين، وفي قلبها بيت المقدس مركز الصدارة وقطب الرحى ومحور العمل والأمل في الكتاب الأبيض الذي حدد القواعد التي ترى الحكومة الأردنية العمل على أساسها لإحياء قضية فلسطين.

وربما يبدو كثيراً ما تضمنه مخطط فلسطين من طروحات سواء من حيث الهدف والجوهر أو من حيث الأسلوب بعيداً عن الواقعية في مفاهيم الحقبة الزمنية الرديئة التي نعيشها في يومنا هذا. فثمة قلة قليلة ما تزال تتحدث بشكل جدي عن وطن سليب. ومع ذلك فقد كان الأردن، ومعه شعوب الأمة العربية يعني كل كلمة يقولها عندما يتحدث عن الوطن المغتصب.

كان يتطلع إلى استرجاع القدس الغربية المتممة للقدس الشرقية التي كانت بين يديه والتي كان ثلثاها أحياء عربية خالصة، بناها أهل القدس بسواعدهم وأموالهم وعزائمهم، ولم تكن أبداً لليهود عندما احتلتها إسرائيل العام 1948.

ولو لم يكن الأمر كذلك، لما ألقى الأردن بمقدراته في حرب 1967.

## سياسة الحسين الخارجية

كانت مستوحاة أولاً وقبل كل شيء من إيمانه الراسخ بمنطلقات الثورة العربية الكبرى القائمة على استقلال ووحدة أقطار الأمة العربية الواحدة، وبالأخص في المشرق العربي.

كان هنالك اتجاهان في المحيط العربي، في أعقاب الحرب العالمية الثانية: أحدهما يرتكز في تنظيم دفاعه على أحلاف تمتد في حدودها إلى ما هو أبعد من النطاق العربي، والآخر يعمل على إقامة نظام دفاعي ضمن إطار عربي مستقل يجسده ميثاق الدفاع العربي المشترك لعام 1955.

لذا، لم يكن من سياسة الحسين الدخول أو الارتباط بأية أحلاف جديدة، بعد إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية وتعريب الجيش، والعمل على تمكين التساند والتماسك العربي، وأن وحدة الأمة العربية هي الشرط والركن الأول في حياتها وسلامة أوطانها. هذا بالإضافة إلى انتهاج سياسة حيادية في الصراع بين الشرق والغرب، والذي كان محتدماً بين الدولتين العظميين، مع إقامة أوثق العلاقات مع دول الطوق الإسلامي المساند، ممثلاً في الحزام الشمالي الذي يضم تركيا وإيران وباكستان. يضاف إلى ذلك الانتماء إلى مجموعة دول عدم الانحياز التي تضم الهند ومعظم دول العالم الثالث.

رحم الله الحسين جزاء ما قدم لشعبه وأمته من عطاء، وأسكنه فسيح جنانه.

وشكراً

بادر مركز الدراسات الاستراتيجية – الجامعة الأردنية إلى إنشاء برنامج أكاديمي باسم "كرسي الملك الحسين بن طلال للدراسات الأردنية والدولية"، من باب الوفاء والعرفان للملك الباني لاستحضار آرائه الخالدة، وإحياء ذكراه العطرة، وتوثيق مسيرته المكللة بالعطاء. ويهدف الكرسي لإجراء الدراسات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي توثق لفكر ومسيرة الراحل العظيم، الذي قدّم للأردن والعرب والعالم أسمى معاني البذل والعطاء والفداء، وأرسى نهجاً في القيادة عزّ نظيره على مستوى العالم.

نسعى من خلال هذا المشروع الوطني الهام الذي حظي بدعم ومباركة من جلالة الملك عبدالله الثاني المعظم، إلى إلقاء الضوء على حياة الملك الحسين، رحمة الله، ومسيرته التي قادت الأردن إلى مصاف الدول المتقدمة: رسالة؛ ونهضة؛ وعمراناً. كما نحاول من خلال هذا البرنامج تسليط الضوء، وبمنهجية علمية، على حقبة حكمه العامرة بالعطاء؛ والتفاني؛ والإنجاز.

ولنتوصل من خلال هذا الكرسي إلى قراءة أردنية أكاديمية للأحداث التاريخية والمحطات المفصلية التي مرّ بها الأردن عبر حقبة امتدت لخمسين عاماً من حكم جلالته.

وسيتم تحقيق أهداف البرنامج من خلال المحاضرات والندوات والمؤتمرات والبحوث والورشات، واستضافة باحثين عالمين وأردنيين من ذوي الاختصاص في الدراسات الأردنية والدولية.